قصيدة الواعظ المربي
أبي عمران موسى بن محمد بن بهيج الأندلسي
رحمه الله
في مناقب أم المؤمنين عائشة رضي الله عَنْهَا زوج النَّبي ﷺ

إعداد وتقديم: لجنة البحث بمركز البحث العلمي الإسلامي

مُقَدِّمَة:

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على نبيّنا محمد وعلى آله وأصحابه وأزواجه وأتباعه بحق إِلَى يوم الدين. أما بعد،

فَهَذِهِ قصيدة في مناقب أم المؤمنين عائشة والدفاع عَنْهَا رضي الله عَنْهَا، نقدمها للقراء الكرام، مساهمة في نصرة النَّبي ﷺ بالدفاع عن أحب النساء إليه، لاَ سيّما وأن رَسُول الله ﷺ قَالَ: « لاَ تؤذيني في عائشة » [1].

وقد أوذيت عائشة رضي الله عَنْهَا مراراً، وأوذي فِيْهَا رَسُول الله ﷺ، ومن ذَلِكَ: حادثة الإفك واتهامها بالزنى، فدافع عَنْهَا اللهُ عز وجلَّ حين برّأها في القرآن الكريم في سورة النور، ودافع عَنْهَا رَسُول الله ﷺ فقال إثر الشائعة: « يا معشر المسلمين، من يعذرني من رجل قد بلغني أذاه في أهل بيتي، فوالله مَا علمت على أهلي إِلاَّ خيراً، ولقد ذكروا رجلاً مَا علمت عليه إِلاَّ خيراً » [2].

---

[1] رواه البخاري (٣٧٧٥) في فضائل الصحابة، باب فضل عائشة رضي الله عنها. قَالَ ذَلِكَ في أم سلمة رضي الله عَنْهَا، وَهُوَ جزء من حديث.

[2] جزء من حديث رواه البخاري (٤٧٥٠) في التفسير، باب قوله: ﴿ لولا إذ سمعتموه ظنّ المؤمنون والمؤمنات بأنفسهم خيراً ﴾.

ودافعت عَنْهَا أم مسطح بنت أبي رهم بن المطلب بن عبد مناف، وكانت أمها خالة أبي بكر الصديق ﷺ ـ وكان ابنها مسطح وقع في عائشة ونشر خبر الشائعة ـ فقالت ـ أي أم مسطح ـ: (أي بنيّة هوّني عليك الشأن، فوالله لقلّما كَانَتْ امرأة حسناء عِنْدَ رجل يحبّها لها ضرائر إلاَّ كثَّرن وكثَّر النَّاس عليها) [١].

وممن دافع عَنْهَا في قصيدة: حسَّان بن ثابت ﷺ، يعتذر من الَّذِي كَانَ قَالَ في شأن عائشة رضي الله عَنْهَا، فقال:

حَصَانٌ رَزَانٌ مَا تُزَنُّ بريبَةٍ ... وَتُصْبِحُ غَرْثَى مِنْ لُحُومِ الغَوافِلِ [٢]

عقيلة حَيٍّ مِن لُؤَيِّ بنِ غالبٍ ... كِرَام المَساعي مَجْدُهم غير زَائِل [٣]

مُهَذَّبَةٌ قَد طَيَّبَ اللهُ خِيمَهَا ... وَطَهَّرَهَا مِنْ كُلِّ سُوءٍ وَبَاطِل [٤]

فَإِنْ كُنْتُ قُلْتُ الَّذِي قَدْ زَعَمْتُم ... فَلاَ رَفَعَتْ سَوْطِي إِلَيَّ أَنَامِلِي [٥]

وَكَيْفَ وَوُدِّي مَا حَييتُ ونُصْرَتي ... لآل رَسُولِ اللهِ زَيْنِ المَحافِلِ

لَهُ رُتَبٌ عالٍ عَلَى النَّاسِ كُلِّهِمْ ... تَقَاصَرُ عنه سَوْرَة المُتَطَاوِلِ [٦]

فَإِنَّ الذي قد قيل لَيْس بلائطٍ ... ولكنَّه قَوْلُ امرئٍ بي ماحِلِ [٧]

ومن هؤلاء المدافعين عن عائشة رضي الله عنها، الواعظ المربّي أبو عمران، موسى بن محمد بهيج الأندلسي رحمه الله، في قصيدته التي بين يدينا.

وها نحن نسهم بنشر هذه القصيدة، سائلين المولى سبحانه أن يجعل نشرها من الدفاع عن رسول الله ﷺ بالدفاع عن أهل بيته، لا سيّما وأن الله عز وجل يقول: ﴿ الخبيثات

---

[١] السيرة النبوية لابن هشام (٢/٣٠٠).

[٢] الحصان: العفيفة، والرزان: الملازمة موضعها الَّتِي لاَ تتصرف كثيراً، وَمَا تُزَنُّ: أي مَا تتهم، وغَرْثَى: جائعة، والغَوَافل: جمع غافلة، ويعني بهَا الغافلة القلب عن الشرّ، كَمَا قَالَ سبحانه: ﴿ إن الذين يرمون المحصنات الغافلات المؤمنات ﴾ جعلهنّ غافلات لأن الَّذِي رمين به من الشر لم يهممن به قط، وَلاَ خطر على قلوبهن، فهن في غفلة عنه، وَهَذَا أبلغ مَا يكون من الوصف بالعفاف. ويريد بقوله: وتصبح غرثى من لحوم الغوافل، أي خميصة البطن من لحوم النَّاس، أي اغتيابهم.

[٣] العقيلة: الكريمة. والمساعي: جمع مسعاة، وَهُوَ مَا يسعى فيه من طلب المجد والمكارم.

[٤] الخيم: الطبع.

[٥] الأنامل: الأصابع.

[٦] الرتب: مَا ارتفع من الأرض وعلا، ويريد به هنا الشرف والمجد. والسورة (بفتح السين): الوثبة. (وبضم السين): المنزلة.

[٧] لائط: لاصق. والماحل: الماشي بالنميمة.

للخبيثين والخبيثون للخبيثات والطيبات للطيبين والطيبون للطيبات أولئك مبرَّؤون مما يقولون ﴾ [النور: ٢٦].

فاتّهام عائشة رضي الله عَنْهَا بالفاحشة، يلزم مِنْهُ اتهام الرسول ﷺ بأنه خبيث ـ حاشاه ذَلِكَ ونعوذ بالله من مقالات واتهامات هِيَ ضلال ولوازمها كفر وزندقة واضحة ـ كيف وقد توفي الرسول ﷺ في بيتها ويومها وَهُوَ على صدرها، وقبل ذَلِكَ كَانَ قد استأذن أزواجه أن يُمرَّض في بيت عائشة رضي الله عَنْهَا، فلو كَانَتْ كَمَا يفترون لما أباح لنفسه أن يبقى مَعَهَا، ولما حظيت مِنْهُ بهذا الحب الوفير.

فصلّى الله وسلّم وبارك عليه من نبي الطاهرين، ورضي الله عَنْهَا وعن زوجاته الطاهرات، والحمد لله على جلاء الحقائق ورد كيد الكائدين.

التعريف بالقصيدة وبصاحبها:

هذه القصيدة في مناقب أم المؤمنين عائشة والدفاع عنها رضي الله عنها، وجدناها مطبوعة في خمس ورقات بعنوان: "زوجة رسول الله ﷺ أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها". وقد قام بطبعها: لجنة الدعوة والإرشاد بمنطقة الأندلس، التابعة لجمعية إحياء التراث الإسلامي، بدولة الكويت، وذُكر في آخر القصيدة في الهامش بأنها من نظم الشيخ ابن بهيج الأندلسي رحمه الله.

ثم وجدناها مطبوعة في كتيّب من سبعين ورقة، بعنوان: "قصيدة الواعظ الأندلسي في مناقب أم المؤمنين الصِّدِّيقة عائشة رضي الله عنها". تأليف أبي عمران موسى بن محمد بن عبد الله الواعظ الأندلسي، من القرن السادس الهجري، بتحقيق الأستاذ الدكتور فهد بن عبد الرحمن بن سُليمان الرومي [1]، طبع مكتبة التوبة. وذكر الدكتور فهد بأنه لم يجد له ترجمة فيما رجع إليه من كتب التراجم والتاريخ، وقد وجد على نسخة منها، سماعات لهذه القصيدة قد تلقي ضوءاً خافتاً على شخصية صاحبها. ففي سند سماعها علماء أعلام كالمرتضى الزبيدي صاحب (تاج العروس)، وشيخ الإسلام زكريا الأنصاري، والحافظ ابن حجر رحمهم الله تعالى. قال: وورد فيها أنّ الأفضل وزير مصر السنّي، أجاز المؤلف عليها بمائة دينار لمّا بلغته. اهـ.

---

[1] أستاذ الدراسات القرآنية، كلية المعلمين بالرياض.

وقد بحثنا عن ترجمة لصاحب القصيدة، فوجدنا ما يشير إلى شيء من ترجمته، وهي:

١ـ اسمه: موسى بن محمد بهيج.

٢ـ يكنّى: أبا عمران الفليشي، نسبة إلى فُليش، قرية من قرى لَرَقة بشرقي الأندلس غربي مرسية وشرقي المرية، وقد نقل هَذَا الخبر: ياقوت، في مادة (فليش).

وفيما يبدو أنه كَانَ كفيفاً، كَمَا كَانَ مربياً، فقد وُصِف بالكفيف المربي.

٣ـ ارتحل عن بلده وعشائره إِلَى المشرق، فنزل بمصر، وعمل فِيْهَا موشحاً، أوله:

يا منجمينا ... هل للغرب سبيل

نحو الظاعنينا ... فالقلب منه عليل

لا يلفي معيناً ... إلا دموعاً تسيل

ويجريها هتوناً ... من جفنه ويديل

وقد استفدنا هَذِهِ الترجمة القصيرة من أخبار وتراجم أندلسية مستخرجة من معجم السفر للسلفي (٤٣/١)، قَالَ: حدثني أبو محمد عبد الله بن محمد بن ملوك التنوخي الفليشي بالإسكندرية بعد رجوعه من مكة. وفليش قرية من قرى لَرَقة بشرقي الأندلس. قَالَ: غاب أبو عمران الفليشي، موسى بن محمد بهيج الكفيف المربي عن عشائره مدة بالمشرق، فعمل بالمشرق موشحاً. وذكر أوله.

وفي معجم البلدان (٣٤٢/٣): فَلِيشُ: من قرى نمرُقَةَ بشرقي الأندلس، يُنسب إليها ابن سِلَفَةَ محمد بن عبد الله بن محمد بن ملوك التنوخي الفُليشي، سمع منه بالإسكندرية، وقال: غاب أبو عمران موسى بن بهيج الكفيف الفليشي عن عشائره بالمشرق، فعمل بمصر موَشحاً وذكر منه بيتاً نادراً.

ترجمة أم المؤمنين عائشة رضي الله عَنْهَا:

الصِّدِّيقةُ بنت الصِّدِّيق، حبيبةُ الحبيب، وإلفُهُ القريب، الطَّيِّبةُ زوجُ الطَّيِّب، ﴿ والطَّيِّبَاتُ للطَّيِّبين والطَّيِّبون للطَّيِّبات ﴾ [النور: ٢٦]، المُبَرَّأَةُ مِنْ فوقِ سبع سماوات، لم يتزوَّج رسول الله ﷺ بِكْراً غيرها، ولم ينزل عَلَيْهِ الوحيُ في لِحَافِ امرأةٍ سواها، ولم يَكُنْ فِي أزواجِهِ مَن هي أحبُّ إليه منها. توفي النَّبي ﷺ في يومها، وفي بيتها، وعلى صدرها، ودفن في بيتها رضي الله عَنْهَا.

ومِن فضلها أَنَّه لاَ تُعلَمُ امرأةٌ فِي الدُّنيا هي أعلم بشرعِ اللّهِ مِنْهَا، حُبُّها قُربةٌ، وبُغْضُهَا ضلالٌ، وسَبُّها فُجُورٌ، وقَذْفُهَا كُفْرٌ، وقد أجمع العلماء عَلَى كفرِ مَن قَذَفَهَا بَعْد براءتها، لأنَّه مُكَذِّبٌ للقرآن.

مَن رَضِيَهَا أُمّاً لَهُ فهو مؤمن، ومن لم يرضها فليس بمؤمن، وَصَدَقَ اللّهُ إذ يقول: ﴿ النَّبِيُّ أَولَى بالمؤمنين مِن أَنْفُسِهِم وَأَزْواجُهُ أُمَّهاتُهُم ﴾ [الأحزاب: ٦].

أمها أم رومان بنت عامر بن عويمر رضي الله عَنْهَا، ولدت في الإسلام، وهي أصغر من فاطمة رضي الله عَنْهَا بثماني سنين، وكانت تقول: لم أعقل أبوي إلاَّ وهما يدينان الدين.

تزوجها النَّبِي ﷺ بعد وفاة الصديقة خديجة بنت خويلد رضي الله عَنْهَا قبل الهجرة، ودخل بهَا في شوال سنة اثنتين منصرفه عليه الصلاة والسلام من غزوة بدر وهي ابنة تسع.

روت عن النَّبِي ﷺ علماً كثيراً، وروى عَنْهَا خلق كثير.

مسند عائشة رضي الله عَنْهَا يبلغ ألفين ومائتين وعشرة أحاديث، اتفق لها البخاري ومسلم على مائة وأربعة وسبعين حديثاً، وانفرد البخاري بأربعة وخمسين، وانفرد مسلم بتسعة وستين [1].

حديث الإفك:

لم يفتر المنافقون من الطعن برسول الله ﷺ وبدينه، حَتَّى طعنوا في زوجاته رضي الله عنهن، شأنهم في ذَلِكَ شأن المتربصين الذين يتحيّنون الفرص والحوادث لتلفيق الأخبار وصياغة الأكاذيب، فوقعوا في عائشة رضي الله عَنْهَا واتّهموها بالزنى، وقد برّأها اللّهُ عز وجل في القرآن في سورة النور، وذلك في قوله تَعَالَى: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ جَآءُو بِٱلْإِفْكِ عُصْبَةٌ مِّنكُمْ ۚ لَا تَحْسَبُوهُ شَرًّا لَّكُم ۖ بَلْ هُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ ۚ لِكُلِّ ٱمْرِئٍ مِّنْهُم مَّا ٱكْتَسَبَ مِنَ ٱلْإِثْمِ ۚ وَٱلَّذِى تَوَلَّىٰ كِبْرَهُۥ مِنْهُمْ لَهُۥ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿١١﴾ لَّوْلَآ إِذْ سَمِعْتُمُوهُ ظَنَّ ٱلْمُؤْمِنُونَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتُ بِأَنفُسِهِمْ خَيْرًا وَقَالُوا۟ هَٰذَآ إِفْكٌ مُّبِينٌ ﴿١٢﴾ لَّوْلَا جَآءُو عَلَيْهِ بِأَرْبَعَةِ شُهَدَآءَ ۚ فَإِذْ لَمْ يَأْتُوا۟ بِٱلشُّهَدَآءِ فَأُو۟لَٰٓئِكَ عِندَ ٱللَّهِ هُمُ ٱلْكَٰذِبُونَ ﴿١٣﴾ وَلَوْلَا فَضْلُ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُۥ فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْءَاخِرَةِ لَمَسَّكُمْ فِى مَآ أَفَضْتُمْ فِيهِ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿١٤﴾ إِذْ تَلَقَّوْنَهُۥ بِأَلْسِنَتِكُمْ وَتَقُولُونَ بِأَفْوَٰهِكُم مَّا لَيْسَ لَكُم بِهِۦ عِلْمٌ وَتَحْسَبُونَهُۥ هَيِّنًا وَهُوَ عِندَ ٱللَّهِ عَظِيمٌ ﴿١٥﴾ وَلَوْلَآ إِذْ سَمِعْتُمُوهُ قُلْتُم مَّا يَكُونُ

---

[1] انظر ترجمتها في سير أعلام النبلاء للحافظ الذهبي (١٣٥/٢).

لَنَآ أَن نَّتَكَلَّمَ بِهَٰذَا سُبْحَٰنَكَ هَٰذَا بُهْتَٰنٌ عَظِيمٌ ﴿١٦﴾ يَعِظُكُمُ ٱللَّهُ أَن تَعُودُواْ لِمِثْلِهِۦٓ أَبَدًا إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿١٧﴾ وَيُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمُ ٱلْأَيَٰتِۚ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿١٨﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ يُحِبُّونَ أَن تَشِيعَ ٱلْفَٰحِشَةُ فِى ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْءَاخِرَةِۚ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴿١٩﴾ وَلَوْلَا فَضْلُ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُۥ وَأَنَّ ٱللَّهَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴿٢٠﴾ ﴾ [النور: ١١ـ٢٠].

وقد روى الإمام البخاري رحمه الله حادثة الإفك بتفاصيلها، وها نحن نسوقها بحذافيرها بياناً للحق، وتجليةً للواقع، ومساهمة في نصرة رَسُول الله ﷺ بالدفاع عنه وعن أهل بيته.

قَالَ البخاري رحمه الله: حَدَّثَنَا أَبُو الرَّبِيعِ سُلَيْمَانُ بْنُ دَاوُدَ وَأَفْهَمَنِي بَعْضَهُ أَحْمَدُ بن يونس حَدَّثَنَا فُلَيْحُ بْنُ سُلَيْمَانَ عَنِ ابْنِ شِهَابٍ الزُّهْرِيِّ عَنْ عُرْوَةَ بْنِ الزُّبَيْرِ وَسَعِيدِ بْنِ الْمُسَيَّبِ وَعَلْقَمَةَ بْنِ وَقَّاصٍ اللَّيْثِيِّ وَعُبَيْدِ اللَّهِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عُتْبَةَ عَنْ عَائِشَةَ رضي الله عنها زَوْجِ النَّبِيِّ ﷺ، حِينَ قَالَ لَهَا أَهْلُ الإِفْكِ مَا قَالُوا فَبَرَّأَهَا اللَّهُ مِنْهُ، قَالَ الزُّهْرِيُّ: وَكُلُّهُمْ حَدَّثَنِي طَائِفَةً مِنْ حَدِيثِهَا، وَبَعْضُهُمْ أَوْعَى مِنْ بَعْضٍ، وَأَثْبَتُ لَهُ اقْتِصَاصًا، وَقَدْ وَعَيْتُ عَنْ كُلِّ وَاحِدٍ مِنْهُمُ الْحَدِيثَ الَّذِي حَدَّثَنِي عَنْ عَائِشَةَ رضي الله عنها، وَبَعْضُ حَدِيثِهِمْ يُصَدِّقُ بَعْضًا، زَعَمُوا أَنَّ عَائِشَةَ رضي الله عنها قَالَتْ: كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ إِذَا أَرَادَ أَنْ يَخْرُجَ سَفَرًا أَقْرَعَ بَيْنَ أَزْوَاجِهِ، فَأَيَّتُهُنَّ خَرَجَ سَهْمُهَا خَرَجَ بِهَا مَعَهُ، فَأَقْرَعَ بَيْنَنَا فِي غَزَاةٍ غَزَاهَا، فَخَرَجَ سَهْمِي، فَخَرَجْتُ مَعَهُ بَعْدَ مَا أُنْزِلَ الْحِجَابُ، فَأَنَا أُحْمَلُ فِي هَوْدَجٍ وَأُنْزَلُ فِيهِ. فَسِرْنَا حَتَّى إِذَا فَرَغَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ مِنْ غَزْوَتِهِ تِلْكَ وَقَفَلَ وَدَنَوْنَا مِنَ الْمَدِينَةِ، آذَنَ لَيْلَةً بِالرَّحِيلِ، فَقُمْتُ حِينَ آذَنُوا بِالرَّحِيلِ، فَمَشَيْتُ حَتَّى جَاوَزْتُ الْجَيْشَ، فَلَمَّا قَضَيْتُ شَأْنِي، أَقْبَلْتُ إِلَى الرَّحْلِ، فَلَمَسْتُ صَدْرِي فَإِذَا عِقْدٌ لِي مِنْ جَزْعِ أَظْفَارٍ قَدِ انْقَطَعَ، فَرَجَعْتُ فَالْتَمَسْتُ عِقْدِي فَحَبَسَنِي ابْتِغَاؤُهُ، فَأَقْبَلَ الَّذِينَ يَرْحَلُونَ لِي، فَاحْتَمَلُوا هَوْدَجِي فَرَحَلُوهُ عَلَى بَعِيرِي الَّذِي كُنْتُ أَرْكَبُ وَهُمْ يَحْسِبُونَ أَنِّي فِيهِ، وَكَانَ النِّسَاءُ إِذ ذَّاكَ خِفَافًا لَمْ يَثْقُلْنَ، وَلَمْ يَغْشَهُنَّ اللَّحْمُ، وَإِنَّمَا يَأْكُلْنَ الْعُلْقَةَ مِنَ الطَّعَامِ، فَلَمْ يَسْتَنْكِرِ الْقَوْمُ حِينَ رَفَعُوهُ ثِقَلَ الْهَوْدَجِ فَاحْتَمَلُوهُ، وَكُنْتُ جَارِيَةً حَدِيثَةَ السِّنِّ، فَبَعَثُوا الْجَمَلَ وَسَارُوا، فَوَجَدْتُ عِقْدِي بَعْدَ مَا اسْتَمَرَّ الْجَيْشُ، فَجِئْتُ مَنْزِلَهُمْ وَلَيْسَ فِيهِ أَحَدٌ، فَأَمَمْتُ مَنْزِلِي الَّذِي كُنْتُ بِهِ، فَظَنَنْتُ أَنَّهُمْ سَيَفْقِدُونَنِي فَيَرْجِعُونَ إِلَيَّ، فَبَيْنَا أَنَا جَالِسَةٌ غَلَبَتْنِي عَيْنَايَ فَنِمْتُ، وَكَانَ

صَفْوَانُ بْنُ الْمُعَطَّلِ السُّلَمِيُّ ثُمَّ الذَّكْوَانِيُّ مِنْ وَرَاءِ الْجَيْشِ، فَأَصْبَحَ عِنْدَ مَنْزِلِي فَرَأَى سَوَادَ إِنْسَانٍ نَائِمٍ فَأَتَانِي، وَكَانَ يَرَانِي قَبْلَ الْحِجَابِ، فَاسْتَيْقَظْتُ بِاسْتِرْجَاعِهِ حِينَ أَنَاخَ رَاحِلَتَهُ، فَوَطِئَ يَدَهَا فَرَكِبْتُهَا، فَانْطَلَقَ يَقُودُ بِي الرَّاحِلَةَ، حَتَّى أَتَيْنَا الْجَيْشَ بَعْدَ مَا نَزَلُوا مُعَرِّسِينَ فِي نَحْرِ الظَّهِيرَةِ، فَهَلَكَ مَنْ هَلَكَ، وَكَانَ الَّذِي تَوَلَّى الإِفْكَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ أُبَيٍّ ابْنُ سَلُولَ، فَقَدِمْنَا الْمَدِينَةَ فَاشْتَكَيْتُ بِهَا شَهْرًا، وَالنَّاسُ يُفِيضُونَ مِنْ قَوْلِ أَصْحَابِ الإِفْكِ، وَيَرِيبُنِي فِي وَجَعِي أَنِّي لاَ أَرَى مِنَ النَّبِيِّ ﷺ اللُّطْفَ الَّذِي كُنْتُ أَرَى مِنْهُ حِينَ أَمْرَضُ، إِنَّمَا يَدْخُلُ فَيُسَلِّمُ ثُمَّ يَقُولُ: « كَيْفَ تِيكُمْ ؟ » لاَ أَشْعُرُ بِشَيْءٍ مِنْ ذَلِكَ، حَتَّى نَقَهْتُ، فَخَرَجْتُ أَنَا وَأُمُّ مِسْطَحٍ قِبَلَ الْمَنَاصِعِ مُتَبَرَّزُنَا، لاَ نَخْرُجُ إِلاَّ لَيْلاً إِلَى لَيْلٍ، وَذَلِكَ قَبْلَ أَنْ نَتَّخِذَ الْكُنُفَ قَرِيبًا مِنْ بُيُوتِنَا، وَأَمْرُنَا أَمْرُ الْعَرَبِ الأُوَلِ فِي الْبَرِّيَّةِ أَوْ فِي التَّنَزُّهِ، فَأَقْبَلْتُ أَنَا وَأُمُّ مِسْطَحٍ بِنْتُ أَبِي رُهْمٍ نَمْشِي، فَعَثَرَتْ فِي مِرْطِهَا فَقَالَتْ: تَعِسَ مِسْطَحٌ ! فَقُلْتُ لَهَا: بِئْسَ مَا قُلْتِ ! أَتَسُبِّينَ رَجُلاً شَهِدَ بَدْرًا ؟ فَقَالَتْ: يَا هَنْتَاهْ ! أَلَمْ تَسْمَعِي مَا قَالُوا ؟ فَأَخْبَرَتْنِي بِقَوْلِ أَهْلِ الإِفْكِ، فَازْدَدْتُ مَرَضًا عَلَى مَرَضِي، فَلَمَّا رَجَعْتُ إِلَى بَيْتِي دَخَلَ عَلَيَّ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فَسَلَّمَ فَقَالَ: « كَيْفَ تِيكُمْ ؟ » فَقُلْتُ: ائْذَنْ لِي إِلَى أَبَوَيَّ. قَالَتْ: وَأَنَا حِينَئِذٍ أُرِيدُ أَنْ أَسْتَيْقِنَ الْخَبَرَ مِنْ قِبَلِهِمَا، فَأَذِنَ لِي رَسُولُ اللَّهِ ﷺ، فَأَتَيْتُ أَبَوَيَّ فَقُلْتُ لأُمِّي: مَا يَتَحَدَّثُ بِهِ النَّاسُ ؟ فَقَالَتْ: يَا بُنَيَّةُ، هَوِّنِي عَلَى نَفْسِكِ الشَّأْنَ، فَوَاللَّهِ لَقَلَّمَا كَانَتِ امْرَأَةٌ قَطُّ وَضِيئَةٌ عِنْدَ رَجُلٍ يُحِبُّهَا وَلَهَا ضَرَائِرُ إِلاَّ أَكْثَرْنَ عَلَيْهَا. فَقُلْتُ: سُبْحَانَ اللَّهِ ! وَلَقَدْ يَتَحَدَّثُ النَّاسُ بِهَذَا ؟ قَالَتْ: فَبِتُّ تِلْكَ اللَّيْلَةَ حَتَّى أَصْبَحْتُ لاَ يَرْقَأُ لِي دَمْعٌ وَلاَ أَكْتَحِلُ بِنَوْمٍ، ثُمَّ أَصْبَحْتُ فَدَعَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ عَلِيَّ بْنَ أَبِي طَالِبٍ وَأُسَامَةَ بْنَ زَيْدٍ حِينَ اسْتَلْبَثَ الْوَحْيُ يَسْتَشِيرُهُمَا فِي فِرَاقِ أَهْلِهِ، فَأَمَّا أُسَامَةُ فَأَشَارَ عَلَيْهِ بِالَّذِي يَعْلَمُ فِي نَفْسِهِ مِنَ الْوُدِّ لَهُمْ. فَقَالَ أُسَامَةُ: أَهْلَكَ يَا رَسُولَ اللَّهِ، وَلاَ نَعْلَمُ وَاللَّهِ إِلاَّ خَيْرًا. وَأَمَّا عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، لَمْ يُضَيِّقِ اللَّهُ عَلَيْكَ، وَالنِّسَاءُ سِوَاهَا كَثِيرٌ، وَسَلِ الْجَارِيَةَ تَصْدُقْكَ. فَدَعَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ بَرِيرَةَ فَقَالَ: « يَا بَرِيرَةُ، هَلْ رَأَيْتِ فِيهَا شَيْئًا يَرِيبُكِ ؟ » فَقَالَتْ بَرِيرَةُ: لاَ وَالَّذِي بَعَثَكَ بِالْحَقِّ، إِنْ رَأَيْتُ مِنْهَا أَمْرًا أَغْمِصُهُ عَلَيْهَا قَطُّ أَكْثَرَ مِنْ أَنَّهَا جَارِيَةٌ حَدِيثَةُ السِّنِّ تَنَامُ عَنِ الْعَجِينِ فَتَأْتِي الدَّاجِنَةُ فَتَأْكُلُهُ. فَقَامَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ مِنْ يَوْمِهِ فَاسْتَعْذَرَ مِنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ أُبَيٍّ ابْنِ سَلُولَ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: « مَنْ يَعْذِرُنِي مِنْ رَجُلٍ بَلَغَنِي أَذَاهُ فِي أَهْلِي ؟ فَوَاللَّهِ مَا عَلِمْتُ عَلَى أَهْلِي إِلاَّ خَيْرًا، وَقَدْ ذَكَرُوا رَجُلاً مَا عَلِمْتُ عَلَيْهِ إِلاَّ خَيْرًا، وَمَا كَانَ يَدْخُلُ

عَلَى أَهْلِي إِلاَّ مَعِي». فَقَامَ سَعْدُ بْنُ مُعَاذٍ ﷺ فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، أَنَا وَاللَّهِ أَعْذُرُكَ مِنْهُ، إِنْ كَانَ مِنَ الأَوْسِ ضَرَبْنَا عُنُقَهُ، وَإِنْ كَانَ مِنْ إِخْوَانِنَا مِنَ الْخَزْرَجِ أَمَرْتَنَا فَفَعَلْنَا فِيهِ أَمْرَكَ. فَقَامَ سَعْدُ بْنُ عُبَادَةَ ﷺ وَهُوَ سَيِّدُ الْخَزْرَجِ، وَكَانَ قَبْلَ ذَلِكَ رَجُلاً صَالِحًا وَلَكِنِ احْتَمَلَتْهُ الْحَمِيَّةُ فَقَالَ: كَذَبْتَ لَعَمْرُ اللَّهِ، لاَ تَقْتُلُهُ وَلاَ تَقْدِرُ عَلَى ذَلِكَ. فَقَامَ أُسَيْدُ بْنُ حُضَيْرٍ فَقَالَ: كَذَبْتَ لَعَمْرُ اللَّهِ! وَاللَّهِ لَنَقْتُلَنَّهُ، فَإِنَّكَ مُنَافِقٌ تُجَادِلُ عَنِ الْمُنَافِقِينَ. فَثَارَ الْحَيَّانِ الأَوْسُ وَالْخَزْرَجُ حَتَّى هَمُّوا، وَرَسُولُ اللَّهِ ﷺ عَلَى الْمِنْبَرِ فَنَزَلَ فَخَفَّضَهُمْ حَتَّى سَكَتُوا وَسَكَتَ. وَبَكَيْتُ يَوْمِي لاَ يَرْقَأُ لِي دَمْعٌ وَلاَ أَكْتَحِلُ بِنَوْمٍ، فَأَصْبَحَ عِنْدِي أَبَوَايَ وَقَدْ بَكَيْتُ لَيْلَتَيْنِ وَيَوْمًا، حَتَّى أَظُنُّ أَنَّ الْبُكَاءَ فَالِقٌ كَبِدِي. قَالَتْ: فَبَيْنَا هُمَا جَالِسَانِ عِنْدِي وَأَنَا أَبْكِي إِذِ اسْتَأْذَنَتِ امْرَأَةٌ مِنَ الأَنْصَارِ فَأَذِنْتُ لَهَا، فَجَلَسَتْ تَبْكِي مَعِي، فَبَيْنَا نَحْنُ كَذَلِكَ إِذْ دَخَلَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فَجَلَسَ، وَلَمْ يَجْلِسْ عِنْدِي مِنْ يَوْمِ قِيلَ فِيَّ مَا قِيلَ قَبْلَهَا، وَقَدْ مَكَثَ شَهْرًا لاَ يُوحَى إِلَيْهِ فِي شَأْنِي شَيْءٌ. قَالَتْ: فَتَشَهَّدَ ثُمَّ قَالَ: « يَا عَائِشَةُ ! فَإِنَّهُ بَلَغَنِي عَنْكِ كَذَا وَكَذَا، فَإِنْ كُنْتِ بَرِيئَةً فَسَيُبَرِّئُكِ اللَّهُ، وَإِنْ كُنْتِ أَلْمَمْتِ بِذَنْبٍ فَاسْتَغْفِرِي اللَّهَ وَتُوبِي إِلَيْهِ ! فَإِنَّ الْعَبْدَ إِذَا اعْتَرَفَ بِذَنْبِهِ ثُمَّ تَابَ تَابَ اللَّهُ عَلَيْهِ ». فَلَمَّا قَضَى رَسُولُ اللَّهِ ﷺ مَقَالَتَهُ قَلَصَ دَمْعِي حَتَّى مَا أُحِسُّ مِنْهُ قَطْرَةً وَقُلْتُ لأَبِي: أَجِبْ عَنِّي رَسُولَ اللَّهِ ﷺ، قَالَ: وَاللَّهِ مَا أَدْرِي مَا أَقُولُ لِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ. فَقُلْتُ لأُمِّي: أَجِيبِي عَنِّي رَسُولَ اللَّهِ ﷺ فِيمَا قَالَ، قَالَتْ: وَاللَّهِ مَا أَدْرِي مَا أَقُولُ لِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ. قَالَتْ: وَأَنَا جَارِيَةٌ حَدِيثَةُ السِّنِّ لاَ أَقْرَأُ كَثِيرًا مِنَ الْقُرْآنِ. فَقُلْتُ: إِنِّي وَاللَّهِ لَقَدْ عَلِمْتُ أَنَّكُمْ سَمِعْتُمْ مَا يَتَحَدَّثُ بِهِ النَّاسُ وَوَقَرَ فِي أَنْفُسِكُمْ وَصَدَّقْتُمْ بِهِ، وَلَئِنْ قُلْتُ لَكُمْ إِنِّي بَرِيئَةٌ، وَاللَّهُ يَعْلَمُ إِنِّي لَبَرِيئَةٌ، لاَ تُصَدِّقُونِي بِذَلِكَ، وَلَئِنِ اعْتَرَفْتُ لَكُمْ بِأَمْرٍ، وَاللَّهُ يَعْلَمُ أَنِّي بَرِيئَةٌ، لَتُصَدِّقُنِّي، وَاللَّهِ مَا أَجِدُ لِي وَلَكُمْ مَثَلاً إِلاَّ أَبَا يُوسُفَ إِذْ قَالَ: ﴿ فَصَبْرٌ جَمِيلٌ وَاللَّهُ الْمُسْتَعَانُ عَلَى مَا تَصِفُونَ ﴾، ثُمَّ تَحَوَّلْتُ عَلَى فِرَاشِي وَأَنَا أَرْجُو أَنْ يُبَرِّئَنِي اللَّهُ، وَلَكِنْ وَاللَّهِ مَا ظَنَنْتُ أَنْ يُنْزِلَ فِي شَأْنِي وَحْيًا، وَلأَنَا أَحْقَرُ فِي نَفْسِي مِنْ أَنْ يُتَكَلَّمَ بِالْقُرْآنِ فِي أَمْرِي، وَلَكِنِّي كُنْتُ أَرْجُو أَنْ يَرَى رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فِي النَّوْمِ رُؤْيَا يُبَرِّئُنِي اللَّهُ، فَوَاللَّهِ مَا رَامَ مَجْلِسَهُ وَلاَ خَرَجَ أَحَدٌ مِنْ أَهْلِ الْبَيْتِ حَتَّى أُنْزِلَ عَلَيْهِ الْوَحْيُ، فَأَخَذَهُ مَا كَانَ يَأْخُذُهُ مِنَ الْبُرَحَاءِ، حَتَّى إِنَّهُ لَيَتَحَدَّرُ مِنْهُ مِثْلُ الْجُمَانِ مِنَ الْعَرَقِ فِي يَوْمٍ شَاتٍ، فَلَمَّا سُرِّيَ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ وَهُوَ يَضْحَكُ، فَكَانَ أَوَّلَ كَلِمَةٍ تَكَلَّمَ بِهَا أَنْ قَالَ لِي: « يَا عَائِشَةُ، احْمَدِي اللَّهَ، فَقَدْ بَرَّأَكِ اللَّهُ ». فَقَالَتْ لِي أُمِّي: قُومِي إِلَى رَسُولِ اللَّهِ

ﷺ، فَقُلْتُ: لاَ وَاللَّهِ لاَ أَقُومُ إِلَيْهِ وَلاَ أَحْمَدُ إِلاَّ اللَّهَ. فَأَنْزَلَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿ إِنَّ الَّذِينَ جَاءُوا بِالإِفْكِ عُصْبَةٌ مِنْكُمْ ﴾ الآيَاتِ، فَلَمَّا أَنْزَلَ اللَّهُ هَذَا فِي بَرَاءَتِي قَالَ أَبُو بَكْرٍ الصِّدِّيقُ ﷺ وَكَانَ يُنْفِقُ عَلَى مِسْطَحِ بْنِ أُثَاثَةَ لِقَرَابَتِهِ مِنْهُ: وَاللَّهِ لاَ أُنْفِقُ عَلَى مِسْطَحٍ شَيْئًا أَبَدًا بَعْدَ مَا قَالَ لِعَائِشَةَ. فَأَنْزَلَ اللَّهُ تَعَالَى ﴿ وَلاَ يَأْتَلِ أُولُوا الْفَضْلِ مِنْكُمْ وَالسَّعَةِ أَنْ يُؤْتُوا ﴾ إِلَى قَوْلِهِ ﴿ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴾. فَقَالَ أَبُو بَكْرٍ ﷺ: بَلَى وَاللَّهِ إِنِّي لأُحِبُّ أَنْ يَغْفِرَ اللَّهُ لِي. فَرَجَعَ إِلَى مِسْطَحٍ الَّذِي كَانَ يُجْرِي عَلَيْهِ. وَكَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يَسْأَلُ زَيْنَبَ بِنْتَ جَحْشٍ عَنْ أَمْرِي فَقَالَ: «يَا زَيْنَبُ ! مَا عَلِمْتِ مَا رَأَيْتِ ؟ » فَقَالَتْ: يَا رَسُولَ اللَّهِ ! أَحْمِي سَمْعِي وَبَصَرِي، وَاللَّهِ مَا عَلِمْتُ عَلَيْهَا إِلاَّ خَيْرًا. قَالَتْ: وَهِيَ الَّتِي كَانَتْ تُسَامِينِي فَعَصَمَهَا اللَّهُ بِالْوَرَعِ [1].

نص القصيدة:

مَا شَانُ أُمِّ المُؤْمِنِينَ وَشَانِي ... هُدِيَ المُحِبُّ لها وضَلَّ الشَّانِي

إِنِّي أَقُولُ مُبَيِّناً عَنْ فَضْلِهَا ... وَمُتَرْجِماً عَنْ قَوْلِهَا بِلِسَانِي

يا مُبْغِضِي لا تَأْتِ قَبْرَ مُحَمَّدٍ ... فَالْبَيْتُ بَيْتِي والمَكَانُ مَكَانِي

إِنِّي خُصِصْتُ على نِساءِ مُحَمَّدٍ ... بِصِفَاتِ بِرٍّ تَحْتَهُنَّ مَعَانِي

وَسَبَقْتُهُنَّ إِلَى الفَضَائِلِ كُلِّهَا ... فَالسَّبْقُ سَبْقِي والعِنَانُ عِنَانِي

مَرِضَ النَّبِيُّ ومَاتَ بينَ تَرَائِبِي ... فَالْيَوْمَ يَوْمِي والزَّمَانُ زَمَانِي

زَوْجِي رَسُولُ اللهِ لَمْ أَرَ غَيْرَهُ ... اللهُ زَوَّجَنِي بِهِ وَحَبَانِي

وَأَتَاهُ جِبْرِيلُ الأَمِينُ بِصُورَتِي ... فَأَحَبَّنِي المُخْتَارُ حِينَ رَآنِي [2]

أنا بِكْرُهُ العَذْرَاءُ عِندِي سِرُّهُ ... وَضَجِيعُهُ فِي مَنْزِلِي قَمَرَانِ [3]

وَتَكَلَّمَ اللهُ العَظِيمُ بِحُجَّتِي ... وَبَرَاءَتِي فِي مُحْكَمِ القُرآنِ [4]

---

[1] متفق عليه.

[2] عن هشام بن عروة عن أبيه عن عائشة رضي الله عَنْهَا قَالَت: قَالَ رَسُول الله ﷺ: « أريتك في المنام ثلاث ليالٍ، جاء بكِ الملك في سَرَقَةٍ من حرير، فيقول: هَذِهِ امرأتك، فأكشف عن وجهك فإذا أنت فيه، فأقول: إن يك هَذَا من عِنْدَ الله يُمضه ». رواه أحمد (٦/٤١ و١٢٨ و١٦١) والبخاري (٣٨٩٥) ومسلم (٢٤٣٨).

وعنها رضي الله عَنْهَا: أن جبريل جاء بصورتها في خرقة حرير خضراء إِلَى النَّبي ﷺ فقال: هَذِهِ زوجتك في الدُّنيَا والآخرة. رواه الترمذي (٣٨٨٠) وصححه الألباني.

[3] القمران: أبو بكر وعمر رضي اللهُ عنهما، وهما ضجيعا النبي ﷺ إِلَى جواره في قبره.

[4] الآيات (١١ـ٢٠) من سورة النور.

واللّهُ خَفَّرَنِـــي وعَظَّـــمَ حُرْمَتِـــي ... وَعَلَـــى لِـــسَانِ نَبِيِّـــهِ بَرَّانِـــي[١]
واللّهُ في القُـــرآن قَـــدْ لَعَـــنَ الـــذي ... بَعْـــدَ البَـــرَاءَةِ بِـــالقَبِيحِ رَمَـــانِي
واللّهُ وَبَّـــخَ مَـــنْ أَرَادَ تَنَقُّـــصِي ... إِفْكـــاً وسَـــبَّحَ نَفْـــسَهُ في شَـــانِي[٢]
إِنِّـــي لَمُحْـــصَنَةُ الإِزَارِ بَرِيئَـــةٌ ... وَدَلِيْـــلُ حُـــسْنِ طَهَـــارَتِي إِحْـــصَانِي
واللّهُ أَحْـــصَنَنِي بِخَـــاتَمِ رُسْـــلِهِ ... وَأَذَلَّ أَهْـــلَ الإِفْـــكِ والبُهْتَـــانِ
وَسَـــمِعْتُ وَحْـــيَ اللّهِ عِنْـــدَ مُحَمَّـــدٍ ... مِـــنْ جِبْرَئِيـــلَ وَنُـــورُهُ يَغْـــشَانِي
أَوْحَـــى إِلَيْـــهِ وَكُنْـــتُ تَحْـــتَ ثِيَابِـــهِ ... فَحَنَـــا عَلَـــيَّ بِثَوْبِـــهِ خَبَّـــانِي[٣]
مَـــنْ ذَا يُفَـــاخِرُنِي وينكِـــرُ صُـــحْبَتِي ... وَمُحَمَّـــدٌ في حِجْـــرِهِ رَبَّـــانِي؟
وَأَخَـــذْتُ عَـــن أَبَـــوَيَّ دِيـــنَ مُحَمَّـــدٍ ... وَهُمَـــا علـــى الإِســـلامِ مُـــصْطَحِبانِ
وَأَبِـــي أَقَـــامَ الـــدِّينَ بَعْـــدَ مُحَمَّـــدٍ ... فَالنَّـــصْلُ نَـــصْلِي والـــسِّنَانُ سِـــنانِي
وَالفَخْـــرُ فَخْـــرِي والخِلافَـــةُ في أَبِـــي ... حَـــسْبِي بِهَـــذَا مَفْخَـــراً وَكَفَـــانِي
وأَنَـــا ابْنَـــةُ الـــصِّدِّيقِ صَـــاحِبِ أَحْمَـــد ... وَحَبِيبِـــهِ في الـــسِّرِّ والإِعْـــلانِ
نَـــصَرَ النَّبِـــيَّ بِمَالِـــهِ وَفَعالِـــهِ ... وَخُرُوجِـــهِ مَعَـــهُ مِـــن الأَوْطَـــانِ
ثَانِيـــهِ في الغَـــارِ الـــذي سَـــدَّ الكُـــوَى ... بِرِدَائِـــهِ أَكْـــرِمْ بِـــهِ مِـــنْ ثَـــانِي[٤]
وَجَفَـــا الغِنَـــى حَتَّـــى تَخَلَّـــلَ بالعَبَـــا ... زُهْـــداً وَأَذْعَـــنَ أَيَّمَـــا إِذْعَـــانِ
وَتَخَلَّلَـــتْ مَعَـــهُ مَلائِكَـــةُ الـــسَّمَا ... وَأَتَتْـــهُ بُـــشْرَى اللّهِ بالرِّضْـــوَانِ
وَهُـــوَ الـــذي لَـــمْ يَخْـــشَ لَوْمَـــةَ لائِـــمٍ ... في قَتْـــلِ أَهْـــلِ البَغْـــيِ وَالعُـــدْوَانِ[٥]
قَتَـــلَ الأُلَـــى مَنَعُـــوا الزَّكَـــاةَ بِكُفْـــرِهِمْ ... وَأَذَلَّ أَهْـــلَ الكُفْـــرِ والطُّغيـــانِ
سَـــبَقَ الـــصَّحَابَةَ والقَرَابَـــةَ لِلْهُـــدَى ... هُـــوَ شَـــيْخُهُم في الفَـــضْلِ والإِحْـــسَانِ
واللّهِ مـــا اسْـــتَبَقُوا لِنَيْـــلِ فَـــضِيلَةٍ ... مِثْـــلَ اســـتِبَاقِ الخَيـــلِ يَـــومَ رِهَـــانِ
إِلاَّ وطَـــارَ أَبِـــي إِلَـــى عَلْيَائِهَـــا ... فَمَكَانُـــهُ مِنْهَـــا أَجَـــلُّ مَكَـــانِ
وَيْـــلٌ لِعَبْـــدٍ خَـــانَ آلَ مُحَمَّـــدٍ ... بِعَـــدَاوَةِ الأَزْوَاجِ والأَخْتَـــانِ[٦]

---

[١] خفرني: حماني وأجارني.

[٢] في قوله تعالى: ﴿ سبحانك هذا بهتان عظيم ﴾.

[٣] روى البخاري (٣٧٧٥) من حديث هشام بن عروة عن أبيه أن عائشة رضي الله عَنْهَا قَالَت: قَالَ رَسُول اللّه ﷺ لأم سلمة رضي الله عَنْهَا: « لاَ تؤذيني في عائشة، فإنه والله مَا نزل عليَّ الوحي وأنا في لحاف امرأة منكن غيرها ».

[٤] الكوى: جمع كُوَّة، والكوة: الخرق في الجدار يدخل منه الهواء أو الضوء.

[٥] أي في حروب الردة.

[٦] الأختان: كل مَن كان مِن قِبَلِ المرأة كأبيها وأخيها.

طُـوبَى لِمَـنْ وَالَـى جَمَاعَـةَ صَـحْبِهِ ... وَيَكُـونُ مِـن أَحْبَابِـهِ الحَـسَنَانِ
بَـيْنَ الـصَّحَابَةِ والقَرَابَـةِ أُلْفَـةٌ ... لا تَـسْتَحِيلُ بِنَزْغَـةِ الـشَّيْطَانِ
هُـمْ كالأَصَـابِعِ في اليَـدَيْنِ تَوَاصُـلاً ... هَـل يَـسْتَوِي كَـفٌّ بِغَـيرِ بَنَـانِ؟!
حَـصِرَتْ صُـدُورُ الكَـافِرِينَ بِوَالِـدِي ... وقُلُـوبُهُم مُلِئَـتْ مِـنَ الأَضْـغَانِ[1]
حُـبُّ البَتُـولِ وَبَعْلِهَـا لم يَخْتَلِـفْ ... مِـنْ مِلَّـةِ الإِسـلاَمِ فيـهِ اثْنَـانِ
أَكْـرِمْ بِأَرْبَعَـةٍ أَئِمَّـةِ شَـرْعِنَا ... فَهُـمُ لِبَيْـتِ الـدِّيْنِ كَالأَرْكَـانِ
نُـسِجَتْ مَـوَدَّتُهُمْ سَـدىً في لُحْمَـةٍ ... فَبِنَاؤُهَـا مِـن أَثْبَـتِ البُنْيَـانِ
اللّهُ أَلَّـفَ بَـيْنَ وُدِّ قُلُـوبِهِمْ ... لِيَغِـيظَ كُـلَّ مُنَـافِقٍ طَعَّـانِ
رُحَمَـاءُ بَيْـنَهُمُ صَـفَتْ أَخْلاَقُهُـمْ ... وَخَلَـتْ قُلُـوبُهُمُ مِـنَ الـشَّنَآنِ
فَـدُخُولُهُمْ بَـيْنَ الأَحِبَّـةِ كُلْفَـةٌ ... وَسِـبَابُهُمْ سَـبَبٌ إلى الحِرْمَـانِ
جَمَـعَ الإِلـهُ المُـسْلِمِينَ علـى أَبِـي ... وَاسْـتُبْدِلُوا مِـنْ خَـوْفِهِمْ بِأَمَـانِ
وَإِذَا أَرَادَ اللّهُ نُـصْرَةَ عَبْـدِهِ ... مَـنْ ذا يُطِيـقُ لَـهُ عَلَـى خِـذْلاَنِ؟!
مَـنْ حَبَّنِـي فَلْيَجْتَنِـبْ مَـنْ سَـبَّنِي ... إِنْ كَـانَ صَـانَ مَحَبَّتِـي وَرَعَـانِي
وإِذَا مُحِبِّـي قَـدْ أَلَـظَّ بِمُبْغِـضِي ... فَكِلاَهُمَـا في الـبُغْضِ مُـسْتَوِيَانِ[2]
إِنِّـي لَطَيِّبَـةٌ خُلِقْـتُ لِطَيِّـبٍ ... وَنِـسَاءُ أَحْمَـدَ أَطْيَـبُ النِّـسْوَانِ
إِنِّـي لأُمِّ المُـؤْمِنِينَ فَمَـنْ أَبَـى ... حُبِّـي فَـسَوْفَ يَبُـوءُ بالخُـسْرَانِ
اللّهُ حَبَّبَنِـي لِقَلْـبِ نَبِيِّـهِ ... وإلى الـصِّرَاطِ المُـسْتَقِيمِ هَـدَانِي
واللّهُ يُكْـرِمُ مَـنْ أَرَادَ كَرَامَتِـي ... وَيُهِـينُ رَبِّـي مَـنْ أَرَادَ هَـوَانِي
واللّهَ أَسْـأَلُهُ زِيَـادَةَ فَـضْلِهِ ... وَحَمِدْتُـهُ شُـكْراً لِمـا أَوْلاَنِـي
يَـا مَـنْ يَلُـوذُ بِأَهْـلِ بَيْـتِ مُحَمَّـدٍ ... يَرْجُـو بِـذَلِكَ رَحْمَـةَ الرَّحْمَـانِ[3]
صِـلْ أُمَّهَـاتِ المُـؤْمِنِينَ ولا تَحِـدْ ... عَنَّـا فَتُـسْلَبَ حُلَّـةَ الإِيمَـانِ
إِنِّـي لَـصَادِقَةُ المَقَـالِ كَرِيمَـةٌ ... إِي والـذي ذَلَّـتْ لَـهُ الثَّقَلاَنِ
خُـذْهَا إِلَيْـكَ فإِنَّمَـا هِـي رَوْضَـةٌ ... مَحْفُوفَـةٌ بِـالرَّوْحِ والرَّيحَـانِ
صَـلَّى الإِلَـهُ علـى النَّبِـيِّ وَآلِـهِ ... فَـبِهِمْ تُـشَمُّ أَزَاهِـرُ البُـسْتَانِ

---

[1] حصرت: ضاقت صدورهم.

[2] ألظ: لَزِمَه ولم يفارقه.

[3] اللوذ هُوَ اللجوء إِلَى الشيء، يقال: لاذ به: أي لجأ إليه وعاذ به. وَهَذَا البيت ليس لإقرارهم على اللواذ بآل البيت، وإنما هُوَ وصف لحالهم وَمَا أدّى بهم الغلو في محبتهم من انحراف (من تعليق أ. د. فهد بن عبد الرحمن بن سليمان الرومي).